Jordan Journal of Islamic Studies

Volume 15 | Issue 2 Article 8

6-3-2019

مقترحات خصوم الدعوة ومنهج القرآن في الرد عليها The Qur'anic Approach in Responding to Da'wa Opponents' Suggestions

Ayesh Ali Lababneh
Yarmouk University, ayesh_a_moh@hotmail.com

Follow this and additional works at: https://digitalcommons.aaru.edu.jo/jois

Part of the Islamic Studies Commons

Recommended Citation

Lababneh, Ayesh Ali (2019) "مقترحات خصوم الدعوة ومنهج القرآن في الرد عليها The Qur'anic Approach in Responding to Da'wa Opponents' Suggestions," *Jordan Journal of Islamic Studies*: Vol. 15: Iss. 2, Article 8.
Available at: https://digitalcommons.aaru.edu.jo/jois/vol15/iss2/8

This Article is brought to you for free and open access by Arab Journals Platform. It has been accepted for inclusion in Jordan Journal of Islamic Studies by an authorized editor. The journal is hosted on Digital Commons, an Elsevier platform. For more information, please contact rakan@aaru.edu.jo, marah@aaru.edu.jo, u.murad@aaru.edu.jo.

مقترحات خصوم الدعوة ومنهج القرآن في الرد عليها

د. عايش علي لبابنة*

تاريخ وصول البحث: ٢٠١٧/١٠/٢٩م تاريخ قبول البحث: ٢٠١٨/٣/١٨م

ملخص

هدفت الدراسة إلى الكشف عن منهج القرآن في الرد على مقترحات خصوم الدعوة في عصر نزول القرآن.

وباستخدام المنهج الاستقرائي الاستنباطي توصلت الدراسة إلى أن التحدي بالاقتراح من أساليب الصراع الفكري والحرب النفسية التي واجهت الدعوة، وكشفت الدراسة عن أهداف الخصوم من إيراد هذه الاقتراحات، كما كشفت الدراسة أنواع هذه الاقتراحات، ومنهج القرآن في الرد عليها، وتوصي الدراسة بضرورة دراسة أساليب الصراع الفكري ضد الدعوة للتشكيك فيها، وصد الناس عنها، ومنهج القرآن في الرد عليها.

الكلمات المفتاحية: منهج القرآن، مقترحات خصوم الدعوة.

Abstract

The study aimed at disclosing the Qur'anic approach in responding to Da'wa opponents' suggestions during the time of Qur'an revelation. Using both inductive and deductive methods the study reached the conclusion that "challenging through suggesting" is one of the Intellectual conflict and psychological warfare methods faced the Da'wa.

The study also uncovered the aims behind these "suggestions" and the Qur'an methodology in responding to them.

In conclusion, the study highlights the need to study the styles of the intellectual conflict used against Da'wa in order to keep people away from Islam and promote uncertainties around Da'wa.

المقدمة.

لله الحمد في البدء والختام، وعلى نبيه وآله الصلاة والسلام، وعلى صحابته الرضوان، هم ومن تبعهم بإحسان، وبعد،

فقد قضت حكمة الله تعالى أن يصطرع الحق والباطل، وأن يأخذ هذا الصراع صوراً متعددة ومتجددة، يستخدم فيها الباطل كل سلاح لإعاقة الحق وتشويهه، قال تعالى: ﴿**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ**﴾[الأنعام: ١١٢].

وكان القائمون على الحق من الأنبياء يواجهون الباطل بوعي على أساليبه، ذلك الوعي الذي استمدوه من وحي الله إليهم من بيان سبيل المجرمين، قال تعالى: ﴿**وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ**﴾[الأنعام: ٥٥].

وكان النبي ﷺ يواجه أساليب خصوم الدعوة بما ثبته الله به من توجيه، ففي مواجهة الأذى كان الصبر، وفي مواجهة الإغراء المادي كانت العفة. إلا أن الخصوم كانوا ينوعون في أساليب حربهم للدعوة لتشمل أنواعاً أخرى من الحرب النفسية.

ومن هذه الأساليب ما يمكن تسميته حرب التعجيز أو التعنيت، وطلب المعجزات[1]، وفيه يتحدى الخصوم النبي –عليه

* أستاذ مشارك، جامعة اليرموك.

Jordan Journal of Islamic Studies, Vol. 15 [2019], Iss. 2, Art. 8

الصلاة والسلام– أن يفعل أو يجتبي آية يحددها هؤلاء الخصوم بأنفسهم تكون دليلاً على أن الله تعالى أرسله.

وكانت هذه المقترحات تفعل فعلها في نفس النبي ﷺ، وهو الحريص على اهتداء قومه، وفيه قال الله تعالى: **﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾**[التوبة: ١٢٨] إلى الحد الذي يضيق صدره –عليه الصلاة والسلام– فيتمنى لو يجيبهم إلى ما يقترحونه، وقال الله ﷻ له: **﴿وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُم بِآيَةٍ وَلَوْ شَاء اللّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾**[الأنعام: ٣٥].

وبيّن الله لنبيه دوافع الخصوم من هذه الاقتراحات، وبيّن حكمته من عدم إجابتهم إليها، وأرشد رسوله والمؤمنين من بعده إلى سبيل التعامل مع هذا الأسلوب من أساليب خصوم الدعوة.

وفي هذا البحث يستهدف الباحث الكشف عن منهج القرآن الكريم في الرد على مقترحات خصوم الدعوة، عبر تتبع هذه المقترحات وسياقات ورودها في القرآن الكريم، والردود الجزئية عليها وصولاً إلى استنباط قواعد الرد عليها.

أهمية الدراسة.

تكمن أهمية الدراسة في أنها تحاول أن تقدم تصوراً عن منهج القرآن في الرد على الخصوم في أسلوبهم في الاقتراح والتعجيز الذي قد يواجهه الدعاة في محاولة خصومهم تصويرهم في صورة العاجز عن الاستجابة لما يقترحونه.

وتكمن الأهمية العلمية في تقديم دراسة علمية أولية للباحثين، ينتظر أن تؤدي إلى فتح الباب أمام هذا النوع من الدراسات الدعوية المستمدة من القرآن الكريم.

مشكلة الدراسة وأسئلتها.

تتلخص مشكلة الدراسة في الحاجة إلى بيان ملامح منهج القرآن الكريم في الرد على مقترحات خصوم الدعوة. حيث لم يجمع هذا المنهج في دراسة مستقلة.

وسؤال الدراسة الرئيس: ما منهج القرآن الكريم في الرد على مقترحات خصوم الدعوة؟

ويحاول الباحث الإجابة عن هذا السؤال من خلال الإجابة عن الأسئلة الفرعية الآتية:

١- ما مفهوم الاقتراح؟
٢- ما أهداف خصوم الدعوة من الاقتراح؟
٣- ما المقترحات التي أوردها القرآن لخصوم الدعوة؟ وما أنواعها؟
٤- ما ملامح منهج القرآن في الرد على المقترحات؟

أهداف الدراسة.

يمكن تلخيص أهداف الدراسة بما يأتي:

١- بيان مفهوم الاقتراح والفصل بينه وبين المفاهيم ذات الصلة.
٢- بيان أهداف خصوم الدعوة من هذه المقترحات.
٣- بيان مجمل المقترحات التي ألقيت على النبي ﷺ.
٤- بيان ملامح منهج القرآن في الرد على المقترحات.

https://digitalcommons.aaru.edu.jo/jois/vol15/iss2/8

الدراسات السابقة.

لم يجد الباحث بعد طول اطلاع دراسة منفصلة في عنوان الدراسة، وكان الموضوع يطرق باختصار ضمن كتب السيرة، وكتب الحرب النفسية والصراع الفكري، كما تناولته الدراسات التي تحدثت عن منهج الحوار في القرآن الكريم، ومنها: دراسة خالد الشوحة، الحوار مع الآخر في القرآن الكريم عند المفسرين والمفكرين المعاصرين[٢]. حيث عرض بعضاً من هذه المقترحات تحت عنوان "قضايا حوارية". لكن التعرض للموضوع جاء مختصراً جداً، ولم يعرض لتحديد منهجية القرآن في الرد على المقترحات كما تهدف هذه الدراسة.

ومن الكتب التي أوردت هذا الموضوع كتاب منهج القرآن الكريم في تثبيت النبي ﷺ وتكريمه[٣]، وهي أوسع دراسة تعرضت لهذه المقترحات، وقد أفاد الباحث منها في تقسيم المقترحات، لكن المؤلف لم يعرض لمنهج متكامل في الرد على هذه المقترحات، كما تهدف هذه الدراسة.

منهج الدراسة.

تنحو هذه الدراسة نحو استخدام المنهج الاستقرائي الاستنباطي، عن طريق جمع الآيات ذات الصلة بالعنوان، ثم محاولة استنباط معالم منهجية مشتركة تصل بين هذه الجزئيات وتمثل منهج القرآن في الرد على مقترحات خصوم الدعوة.

وقسم الباحث الدراسة إلى مبحثين:

- **المبحث الأول:** وتكون من أربعة مطالب، جعل الباحث أولها: لبيان مفهوم الاقتراح، والمفاهيم ذات الصلة. وفي الثاني: عرض الباحث لأهداف خصوم الدعوة من الاقتراح، وفي الثالث: حاول الباحث سرد الاقتراحات مقسمة بحسب موضوعها، أما المطلب الرابع: فجعله الباحث لبيان كون الاقتراح سنة في دعوات الأنبياء.
- **المبحث الثاني:** وقد عرض الباحث فيه أساليب القرآن الكريم في التعامل مع الشبهات التي أثارتها مقترحات خصوم الدعوة، بما يمكن أن يمثل ملامح منهج القرآن الكريم في التعامل مع هذه المسألة.

المبحث الأول:
المقترحات تعريفها، وأهدافها، وأنواعها.

يشتمل هذا المبحث على أربعة مطالب:

المطلب الأول: تعريف المقترحات والمفاهيم ذات الصلة.

الاقتراح لغة: من قرح، و"القريحة، أول ما يستنبط من البئر"[٤] يعني: يستخرج، وفي المعنويات يقال: "اقترحت الشيء: استنبطته عن غير سماع"[٥]. وقال الرازي: "اقترح عليه شيئا: سأله إياه من غير روية"[٦].

فالمعنى اللغوي للفعل اقترح تدل على ابتداء الشيء سواء أكان في الماديات أو المعنويات، وفيه معنى السؤال والطلب الابتدائي، كما أن فيه معنى العجلة في طلب الشيء كما يشير إلى ذلك كلام الرازي.

الاقتراح اصطلاحاً: لم يعرف أحد في حدود اطلاع الباحث مفهوم الاقتراح تعريفاً جامعاً مانعاً بل استخدمه المفسرون لوصف المفهوم الذي يدل على ما يطلبه خصوم الدعوة من طلبات باختيارهم وهواهم من النبي ﷺ، قال الماتريدي: "قوله: {ائتوا بآبائنا

إن كنتم صادقين} فيه دلالة ألا يلزم المسؤول أن يأتي بحجة وآية يختارها السائل ويشتهيها، لكن يلزمه أن يأتي بما هو حجة في نفسه، ويلزمه الاتباع بها، فأما أن يلزم على ما يختاره السائل أو يتمناه فلا"[٧].

وعليه فيمكن تعريف الاقتراح إجرائياً بأنه: طلب خصوم الإسلام في عصر تنزل القرآن من النبي ﷺ طلباً يجعلونه شرطاً لاعترافهم بنبوته.

ويكون تعريف المقترحات: ما طلبه خصوم الدعوة في عصر تنزل القرآن من طلبات يجعلونها شرطاً لاعترافهم بنبوته ﷺ.

وقد يكون هذا الطلب آية كونية، كأن يعكس النبي لهم سنن الله الكونية، بأن يرقى ﷺ في السماء، أو طلباً أخبر الشرع عن امتناعه كطلب رؤية الله تعالى في الدنيا.

ويعدّ الطلب اقتراحاً إذا صدر من الخصم جاعلاً إياه شرطاً للإيمان، بخلاف الآيات التي ينزلها الله ابتداءً بمشيئته، إذ لله –جل ثناؤه– أن ينزل من الآيات ما يشاء. ويوضح ابن عاشور هذا الفرق بقوله: "نعم، إن الله قد يقيم آيات من هذا القبيل من تلقاء اختياره دون أي اقتراح عليه، وهو ما يسمى المعجزة مثل ما سمى بعض ذلك بالآيات في قوله: **﴿فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ﴾**[النمل: ١٢]، فذلك أمر آنف من عند الله لم يقترحه عليه أحد. وقد أعطى نبينا محمداً ﷺ من ذلك كثيراً غير مقام اقتراح من المعرضين مثل: انشقاق القمر، ونبع الماء من بين أصابعه ..."[٨].

المفاهيم ذات الصلة:

هناك مفاهيم قد تختلط بالمقترح، ولا تدخل في إطار هذه الدراسة، ومنها:

١) **مفهوم السؤال:** ومعناه الاستفهام عن أمر ما، بما في ذلك ما كان خصوم الدعوة يقصدون به اختبار النبي ﷺ، ويدخل فيه كل سؤال سواء أقصد به الخصم الاستفهام أم اختبار النبي ﷺ، أم الاستهزاء. مثل قوله تعالى: **﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ۖ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾**[الإسراء: ٨٥].

٢) **مفهوم الدعاء:** وهو أن يدعو خصوم الدعوة على أنفسهم، كما في قوله تعالى: **﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾**[الأنفال: ٣٢]، قال الزمخشري: "وهذا أسلوب من الجحود بليغ، يعني إن كان القرآن هو الحق فعاقبنا على إنكاره بالسجيل، كما فعلت بأصحاب الفيل أو بعذاب آخر"[٩].

٣) **مفهوم الاستفتاح:** وهو الدعاء بأن يفتح الله بينهم وبين النبي والمؤمنين بأن ينصر صاحب الحق من بينهم، وقد ورد في القرآن في قوله تعالى: **﴿إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ وَإِنْ تَنْتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾**[الأنفال: ١٩][١٠]. قال الراغب الأصفهاني: "والاستفتاح طلب الفتح أو الفتاح قال: (إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح) أي: إن طلبتم الظفر أو طلبتم الفتاح أي الحكم"[١١]، وقال أبو السعود: "{إِن تَسْتَفْتِحُواْ} خطابٌ لأهل مكةَ على سبيل التهكم بهم وذلك أنهم حين أرادوا الخروجَ تعلقوا بأستار الكعبةِ، وقالوا: اللهم انصُرْ أعلى الجُندَيْن وأهدِ الفئتين وأكرمَ الحِزبين، أي: إن تستنصروا لأعلى الجندين"[١٢]، وقال الشوكاني: "والمعنى إن تستنصروا الله على محمد فقد جاءكم النصر، وهو تهكم بهم"[١٣].

٤) مفهوم **الاستعجال:** ومعناه طلب العجلة في إنجاز موعود الله تعالى، كطلبهم أن يعجل الله تعالى عذابهم سواء في الدنيا أم في الآخرة.

فمن الأول قولـه تعالى: **﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * قُلْ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ﴾**[النمل: ٧١–٧٢]، والذي ردف لهم أي: قرب منهم أو لحق بهم هو العذاب الدنيوي، وقيل: هو عذاب يوم بدر[١٤].

ومن الثاني قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ [الحج: ٤٧].

فاستعجال العذاب أو استعجال يوم القيامة ليس باقتراح؛ لأنه تعجل وعد الله، لا اقتراح شيء شرطاً للإيمان، والاقتراح متعلق بالمطلوب لا بتوقيت حدوثه.

مما سبق، يتبين أن مفهوم الاقتراح أخص من مطلق السؤال، بل سؤال مخصوص بطلب ما يكون على هوى الخصم يجعله شرطاً في استجابته لدعوى النبوة.

المطلب الثاني: أهداف المقترحات.

إن المساحة التي أفردها القرآن لهذا الموضوع تكشف خطورته وتأثيره على الدعوة، حيث أورده القرآن في مواضع نافت الثلاثين موضعاً في مقام عرض الاقتراح أو الرد عليه. وكان لخصوم الدعوة أهدافاً من وراء هذه المقترحات يمكن إجمالها فيما يأتي:

١- التضييق النفسي على النبي ﷺ استغلالاً لحرصه على هدايتهم. وقد أثبت القرآن تحقق هذا الهدف، قال تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾[هود: ١٢]، قال ابن جزي: " لعلك يضيق صدرك من أجل أن يقولوا: {لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك}"[١٥].

٢- إحراج النبي ﷺ أمام الناس[١٦] بإثبات كونه لم يأتهم بدليل قاطع على نبوّته، حين يوهمونهم بالتلازم بين النبوة والقدرة على اجتباء المقترحات، وأنهم إنما كفروا لعدم كفاية الدليل.

٣- التضييق النفسي على المؤمنين[١٧]. قال الواحدي: "وكان المسلمون قد أرادوا أن يظهر رسول الله صلى لهم آية ليجتمعوا على الإيمان، فقال الله: ﴿أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعاً﴾[الرعد: ٣١]. لهداهم من غير ظهور الآيات)[١٨].

٤- إخفاء هزيمتهم في مقام الجدل[١٩]. قال الماتريدي: "إن هذه المقترحات يسألها الرؤساء منهم والقادة على علم منهم أنه لا يجيبهم، ليرى أتباعهم وسفلتهم أنهم حاجوا رسول الله -ﷺ، واعترضوا لحججه وبراهينه"[٢٠].

٥- إثارة الأجواء التي تبعد الساحة عن التفكير في القضايا الفكرية العقدية التي دعا إليها النبي ﷺ[٢١]، والمعنى أنهم يلفتون أنظار الناس عن التفكير فيما ينبغي مما عرضه القرآن.

المطلب الثالث: الاقتراح سنة اجتماعية في صراع الحق مع خصومه.

أرسل الله أنبياءه وأيدهم بالآيات الدالة على صحة نبوتهم، وشاء الله تعالى أن يختار هو وحده ما يؤمن عليه الناس أو يكفرون من الدلائل، ولم يجعل لأحد من خلقه سبيلاً إلى تعيين ما يؤمن عليه من الآيات. وقال -سبحانه-: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[فصلت: ٥٣]. لكن خصوم الدعوة أبوا أن يقبلوا ما أرسل الله به نبيه من آيات بزعم عدم كفايتها للدلالة على دعوى النبوة، وشرعوا يقترحون عليهم آيات يزعمون أنها هي الكافية في دفعهم إلى الإيمان.

Jordan Journal of Islamic Studies, Vol. 15 [2019], Iss. 2, Art. 8

ولم يكن هذا الأمر مقصوراً على خصوم الدعوة في عهد النبي محمد ﷺ، فحين ضاق صدر النبي ﷺ بما يقولون ويقترحون أخبره الله –سبحانه– أن هذا هو ديدن أعداء الدعوة إذا خسروا في ميدان الجدل فرّوا إلى التعلّات والشبهات، ومنها أنهم يطلبون إلى أنبيائهم آيات وفق أهوائهم يجعلونها شرطاً للإيمان. قال تعالى لنبيه مواسياً: ﴿**وَقَالَ ٱلَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ لَوْلاَ يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا ٱلآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ**﴾[البقرة: ١١٨]. قال البيضاوي: ﴿**كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم**﴾ من الأمم الماضية ﴿**مِّثْلَ قَوْلِهِمْ**﴾ فقالوا: ﴿**أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً**﴾[النساء: ١٥٣]"[٢٢]. وقال القشيري: "أما سؤالهم الرؤية فذموا عليه؛ لأنهم اقترحوا عليه ذلك بعد ما قطع عذرهم بإقامة المعجزات، ثم طلبوا الرؤية لا على وجه التعليم، أو على موجب التصديق به، أو على ما تحملهم عليه شدة الاشتياق، وكل ذلك سوء أدب"[٢٣].

المطلب الرابع: أنواع المقترحات.

لما كان هدف المقترحين ليس الوصول إلى الحق بدلائله اتجهوا بالاقتراح اتجاهاتٍ شتى، فاقترحوا المستحيل في الألوهية، واقترحوا في القرآن، واقترحوا في النبوة، واقترحوا في الملائكة. وفيما يأتي يذكر الباحث المقترحات التي ذكرها القرآن لخصوم الدعوة[٢٤]:

النوع الأول: اقتراح الآية أو الآيات المبهمة "غير المعينة"، وقد ورد في آيات عديدة:

١- قال تعالى: ﴿**وَأَقْسَمُواْ بِاللّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءتْهُمْ آيَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الآيَاتُ عِندَ اللّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءتْ لاَ يُؤْمِنُون**﴾[الأنعام: ١٠٩].

قال البيضاوي: "الداعي لهم إلى هذا القسم والتأكيد فيه التحكم على الرسول ﷺ في طلب الآيات واستحقار ما رأوا منها. {لئن جاءتهم آية} **من مقترحاتهم**، ليؤمنن بها قل: إنما الآيات عند الله هو قادر عليها يظهر منها ما يشاء وليس شيء منها بقدرتي وإرادتي"[٢٥].

٢- قال تعالى: ﴿**وَقَالُواْ لَوْلاَ نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّ اللّهَ قَادِرٌ عَلَى أَن يُنَزِّلَ آيَةً وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُون**﴾[الأنعام: ٣٧].

قال البيضاوي: "وقالوا: لولا نزل عليه آية من ربه أي: آية بما **اقترحوه**، أو آية أخرى سوى ما أنزل من الآيات المتكاثرة لعدم اعتدادهم بها عنادا. قل إن الله قادر على أن ينزل آية مما اقترحوه"[٢٦].

٣- قال تعالى: ﴿**وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ**﴾[يونس: ٢٠].

قال الزمخشري: "{وقالوا لولا أنزل عليه آية من ربه} أرادوا آية من الآيات التي كانوا **يقترحونها** ..."[٢٧].

٤- قال تعالى: ﴿**وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ**﴾[الرعد: ٧].

قال السمعاني: "معناه: {لولا أنزل عليه آية} مما **نقترحها**، وإلا فالآيات قد كانت نازلة عليه"[٢٨].

٥- قال تعالى: ﴿**وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ**﴾ [الرعد: ٢٧] قال السمعاني: "يعنون الآية **المقترحة**"[٢٩].

٦- قال تعالى: ﴿**لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِّن رَّبِّهِ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى**﴾[طه: ١٣٣].

قال القشيري: "ولو جمع الله لهم كل آية **اقترحت** على رسول ثم لم يرد الله أن يؤمنوا لما ازدادوا إلا طغيانا وكفرا وخسرانا ... وتلك سنة أسلافهم في تكذيب أنبيائهم"[٣٠].

٧- قال تعالى: ﴿**وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِين**﴾[العنكبوت: ٥٠]، قال

https://digitalcommons.aaru.edu.jo/jois/vol15/iss2/8 6

الماوردي: "يسألونه آيات **يقترحونها** عليه كما كان يفعله مشركو قريش أن يجعل الصفا ذهباً وأن يجري بمكة نهراً"(٣١).

٨- قال تعالى: ﴿**وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلا اجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَى إِلَيَّ مِنْ رَبِّي هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدىً وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**﴾[الأعراف: ٢٠٣]، قال القنوجي: "{وإذا لم تأتهم} أي: أهل مكة {بآية} مما **اقترحوا** {قالوا لولا} هلا {اجتبيتها}"(٣٢)، وذهب الخطيب الشربيني إلى أنهم بقولهم: {اجتبيتها} يطلبون من النبي ﷺ أن يقترح على ربه بعض الآيات. قال الخطيب الشربيني: "هلا طلبتها من ربك منزلة مقترحة؟ ... قل يا محمد: {إنما أتبع ما يوحى إلي من ربي} أي: ليس لي أن أقترح على ربي في أمر من الأمور، إنما أنتظر الوحي، فكل شيء أكرمني به قلته، وإلا فالواجب السكوت وترك الاقتراح"(٣٣).

النوع الثاني: ما يتعلق باقتراح في شأن الله جل شأنه.

١- مجيء الله -سبحانه-: كما في قوله تعالى: ﴿**أو تأتي بالله والملائكة قبيلا**﴾[الإسراء: ٩٢]، قال الواحدي: "هذا كان فيما **اقترح** عليه المشركون"(٣٤).

٢- رؤية الله تعالى: ﴿**وَقَالَ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا**﴾[الفرقان: ٢١]، قال البيضاوي: "**واقترحوا** لأنفسهم الخبيثة ما سدت دونه مطامح النفوس القدسية"(٣٥).

النوع الثالث: ما يتعلق باقتراح في شأن الملائكة.

١- مجيء الملائكة: كما في قوله تعالى: ﴿**أو تأتي بالله والملائكة قبيلاً**﴾[الإسراء: ٩٢]. وقوله تعالى: ﴿**لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلائِكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ**﴾[الحجر: ٧]. وقوله تعالى: ﴿**وَقَالَ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا**﴾[الفرقان: ٢١]. قال القشيري: "**اقترحوا** عليه الإتيان بالملائكة بعد ما أزيحت العلة عليهم بما أيد به معجزاته"(٣٦).

٢- إرسال ملك مع النبي لينذر الناس معه: ﴿**وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا**﴾[الفرقان: ٧]، وقوله -سبحانه-: ﴿**وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ**﴾[الأنعام: ٨]. وقال تعالى: ﴿**فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ**﴾[هود: ١٢]، قال البغوي: "وهذا سنة الله في الكفار أنهم متى **اقترحوا** آية فأنزلت ثم لم يؤمنوا استؤصلوا بالعذاب"(٣٧).

النوع الرابع: ما يتعلق باقتراح في شأن القرآن.

١- أن ينزل القرآن جملة واحدة بدل تفريقه. قال تعالى: ﴿**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً**﴾[الفرقان: ٣٢]. قال أبو السعود: "حكاية **لاقتراحهم** الخاص بالقرآن الكريم بعد حكاية **اقتراحهم** في حقه ﷺ"(٣٨).

٢- أن يأتي النبي -عليه الصلاة والسلام- بقرآن غير هذا أو أن يبدله. قال تعالى: ﴿**وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ**﴾[يونس: ١٥]. قال أبو السعود: "وقصر الجواب ببيان امتناع ما **اقترحوه** على **اقتراحهم** الثاني للإيذان بأن استحالة ما **اقترحوه** أولا من الظهور بحيث لا حاجة إلى بيانها"(٣٩).

النوع الخامس: ما يتعلق باقتراح في شأن النبوة.

١- ما اقترحوه من أنه ينبغي أن يكون النبي رجلاً ممن تعظمهم العرب من مكة أو الطائف، وفي هذا يقول تعالى: ﴿**وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ**﴾[الزخرف: ٣١] قال البقاعي: "{على رجل من القريتين} أي: مكة والطائف

Jordan Journal of Islamic Studies, Vol. 15 [2019], Iss. 2, Art. 8

... {عظيم} أي: بما به عندهم من العظمة والجاه والمال والسن ونحو ذلك، وهم عالمون أن شأن الملك إنما هو إرسال من يرتضونه لا من يقترحه الرعية"(٤٠).

٢- اقتراح أن يكون النبي المرسل من الملائكة لا من البشر، وهو ما يفهم من سياق بعض الآيات مثل قوله تعالى: ﴿**وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا**﴾[الأنعام: ٩] قال الآلوسي: "قوله تعالى: {ولو جعلناه} إلى آخر جواب اقتراح ثان؛ وذلك لأن للكفرة اقتراحين أحدهما: أن ينزّل على رسول الله ﷺ ملك في صورته الأصلية بحيث يعاينه القوم، والآخر: أن ينزَّل إلى القوم ويرسَلَ إليهم مكان الرسول البشر ملك فإنهم كانوا يقولون: {ما هذا إلا بشر مثلكمْ} ، {ولو شاء الله لأنزل ملائكة}"(٤١).

النوع السادس: اقتراحات بطلب خوارق معينة متعددة:

١- أن يحيي الله آباءهم كي يصدقوا بالبعث، في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ هَؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ * إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ * فَأْتُوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**﴾[الدخان: ٣٤-٣٦]. وقوله تعالى: ﴿**وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتُوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**﴾[الجاثية: ٢٥].

قال الماتريدي: "قوله: (ائتوا بآبائنا إن كنتم صادقين) فيه دلالة ألا يلزم المسؤول أن يأتي بحجة وآية يختارها السائل ويشتهيها، لكن يلزمه أن يأتي بما هو حجة في نفسه، ويلزمه الاتباع بها، فأما أن يلزم على ما يختاره السائل أو يتمناه فلا، وقد أتاهم الله – تعالى – من الآيات والحجج ما ألزمهم القول بالبعث والإقرار به"(٤٢).

٢- أن يفجر لهم من الأرض ينبوعاً في مكة. قال تعالى: ﴿**وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا**﴾ [الإسراء: ٩٠].

٣- أن يكون للنبي جنة من نخيل وعنب وتفجر فيها الأنهار في مكة القاحلة غير المعروفة بالزراعة ولا بالماء، وهنا تكمن الخارقة، قال تعالى: ﴿**أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا**﴾[الإسراء: ٩١]، وقال تعالى: ﴿**أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا**﴾[الفرقان: ٨].

٤- أن يسقط السماء قطعاً. قال تعالى على لسانهم: ﴿**أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا**﴾[الإسراء: ٩٣].

٥- أن يعطيك ربك بيتاً من ذهب، قال تعالى على لسانهم: ﴿**أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ**﴾[الإسراء: ٩٣].

٦- أن يرقى النبي –عليه الصلاة والسلام– في السماء. قال تعالى على لسانهم مخاطبين النبي ﷺ: ﴿**أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ**﴾ [الإسراء: ٩٣].

٧- أن ينزل كتاباً عليهم من السماء، وهذا تكرر من المشركين ومن اليهود فعلى لسان المشركين قال تعالى: ﴿**وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرَؤُهُ**﴾[الإسراء: ٩٣]. وعن اليهود قال تعالى: ﴿**يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ**﴾[النساء: ١٥٣].

قال القشيري بعد أن ساق الآيات من سورة الإسراء من ٩٠-٩٣: "**اقترحوا** الآيات بعد إزاحة العلة وزوال الحاجة"(٤٣).

٨- أن يلقي الله –سبحانه– إلى النبي كنزاً من السماء قال تعالى: ﴿**أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنْزٌ**﴾[الفرقان: ٨]. وقال تعالى: ﴿**فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ**﴾[هود: ١٢].

قال الزمخشري: "كانوا **يقترحون** عليه آيات تعنتا لا استرشادا؛ لأنهم لو كانوا مسترشدين لكانت آية واحدة مما جاء به كافية في رشادهم. ومن **اقتراحاتهم** لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك وكانوا لا يعتدون بالقرآن ويتهاونون به وبغيره مما جاء به من البينات"(٤٤).

https://digitalcommons.aaru.edu.jo/jois/vol15/iss2/8

المبحث الثاني:
منهج القرآن في الرد على المقترحات.

في هذا المبحث يتناول الباحث جملة من الأساليب القرآنية التي تمثل بمجموعها ملامح منهج القرآن في الرد على مقترحات خصوم الدعوة والشبهات التي استندت إليها تلك الاقتراحات.

وهذه الردود ينبني كل منها على تشخيص الدافع الذي لأجله وضع الاقتراح، وأثر الاستجابة لهذا الاقتراح في معارضة مبادئ الدين، حيث يمثل كل اقتراح شبهة على الدعوة. كما يلحظ تماسك سياق الآيات في الرد على الشبهة بذكر الشبهة أحياناً قبل الرد، وأحياناً بذكر ما يتضمن نقد شبهتهم قبل ذكرها لبيان طريقتهم في الجدال(٤٥).

الأسلوب الأول: إبطال التلازم المدعى بين وجود الآية وحصول الإيمان.

قبل تفصيل هذا الأسلوب يعرض الباحث للشبهة بالتفصيل.

يمثل هذه الشبهةَ قولُ الله تعالى: **﴿وَأَقْسَمُواْ بِاللّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءتْهُمْ آيَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الآيَاتُ عِندَ اللّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءتْ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾**[الأنعام: ١٠٩]. قال ابن عاشور: "والمراد بالآية ما اقترحوه على الرسول ﷺ يعنون بها خارق عادة تدل على أن الله أجاب مقترحهم ليصدق رسوله –عليه الصلاة والسلام–، فلذلك نكرت "آية"، يعني: أيُّ آية كانت من جنس ما تنحصر فيه الآيات في زعمهم(٤٦).

تستند هذه الشبهة إلى فرض التلازم بين وجود الآية وحتمية الإيمان، فكأنهم قالوا: ليس بيننا وبين الإيمان إلا وجود الآية المقترحة، فإن لم يأت بها لا نؤمن أو لم يأتنا بما يدعونا إلى الإيمان.

وصورة الشبهة عند أتباعهم وعند بعض المؤمنين أنه مع حرص النبي على الهدى فينبغي أن يأتيهم بما يطلبون، بخاصة وهم يحلفون على أنه ليس بينهم وبين الإيمان إلا أن تأتيهم بالآية التي يقترحون الذي أشار إليه القرآن بقوله: {وأقسموا بالله جهد أيمانهم}.

وخطورة هذه الشبهة أنها توحي للسامع أن سبب عدم الإيمان هو أن الرسول لم يجبهم إلى ما يطلبون.

الرد: رد القرآن الكريم على هذه الشبهة التي يحملها هذا الاقتراح في أربعة مسالك:

<u>المسلك الأول:</u> فك التلازم المتوهم بين وجود الآية وضرورة حصول الإيمان.

أكدت الآيات في سياق الرد على هذه الشبهة على فك التلازم بين وجود الآيات مطلقاً من أي نوع وحصول الإيمان؛ لأن وجود الآية ليس هو الدافع الوحيد للإيمان، كما أن غياب الآية المقترحة ليس هو المانع الوحيد من الإيمان، ومن هذه الآيات:

١) عقب الله تعالى على نص الشبهة الواردة في قوله: **﴿وَأَقْسَمُواْ بِاللّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءتْهُمْ آيَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا﴾**[الأنعام: ١٠٩] موجهاً كلامه إلى النبي ﷺ والمؤمنين(٤٧): **﴿وما يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءتْ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾**[الأنعام: ١٠٩].

ففصل التلازم المتوهم بين وجود الآية وحصول الاستجابة. يقول سيد قطب: "هذه الحقيقة التي يجهلها أكثر الناس عن طبائع القلوب ... إنه ليس الذي ينقص الذين يلجون في الضلال أنه لا توجد أمامهم دلائل وبراهين ... إنما الذي ينقصهم آفة في القلب، وعطل في الفطرة، وانطماس في الضمير"(٤٨).

Jordan Journal of Islamic Studies, Vol. 15 [2019], Iss. 2, Art. 8

٢) في سورة الإسراء التي ذكر فيها أكبر عدد من الاقتراحات المتنوعة في موضع واحد[٤٩] قال الله تعالى: **﴿وَمَا مَنَعَنَا أَن نُّرْسِلَ بِالآيَاتِ إِلاَّ أَن كَذَّبَ بِهَا الأَوَّلُونَ﴾**[الإسراء: ٥٩]. فأثبت الله أن الآيات الكونية نزلت وكفر بها فلا تلازم بين وجود الآية والإيمان. يقول وحيد الدين خان: "إن تجارب التاريخ شاهدة بأن الذي يرفضون التصديق بأمر الحق اقتناعاً بالدليل لا يستعدون للتصديق به حتى بالرغم من رؤيتهم لما اقترحوا من المعجزات والخوارق"[٥٠].

٣) قال تعالى في سورة يونس: **﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ * وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾**[يونس: ٩٦-٩٧].

قال محمد رشيد رضا: "**﴿وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ﴾** من الآيات الكونية كآيات موسى التي اقترحوها عليك أيها الرسول، والآيات المنزلة كآيات هذا القرآن العلمية العقلية الدالة بإعجازها على كونها من عند الله"[٥١]. وعقب الحق -سبحانه- بعدها بآيات قائلاً: **﴿قُلِ انظُرُواْ مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ﴾**[يونس: ١٠١]، فبين -سبحانه- أن وجود الآيات مع انتفاء النية للانتفاع بها غير مغنٍ لمن تعرض عليه تلك الآيات. قال محمد رشيد رضا: "إن الآيات الكونية على ظهور دلالتها، والنذر التشريعية على بلاغة حجتها، لا فائدة فيهما ولا غنى لقوم لا يؤمنون بالله عن الإيمان الذي يهديهم إلى الاعتبار بالآيات"[٥٢].

٤) في سورة الأنبياء اقترح المشركون آية مبهمة، فقالوا: **﴿فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الأَوَّلُونَ﴾**[الأنبياء: ٥] ورد الله عليهم بعدم التلازم بين وجود الآية ووقوع الإيمان فقال: **﴿مَا آمَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ﴾**[الأنبياء: ٦]. قال الشوكاني: "فليأتنا بآية كما أرسل الأولون أي: كما أرسل موسى بالعصا وغيرها، وصالح بالناقة ... وكان سؤالهم هذا سؤال تعنت؛ لأن الله -سبحانه- قد أعطاهم من الآيات ما يكفي، ولو علم الله -سبحانه- أنهم يؤمنون إذا أعطاهم ما يقترحونه لأعطاهم ذلك"[٥٣].

المسلك الثاني: تأكيد القرآن على أنهم إنما اقترحوا ما اقترحوا تعنتاً وتعجيزاً، لا طلباً للهداية. ومن كان هذا حاله يؤكد القرآن أنه لا يؤمن حتى لو جاءته الآية. ومستند هذا هو العلم الإلهي بهم.

ومن الأمثلة على هذا المسلك:

١) ما جاء في لِحاق آية الأنعام: **﴿وَأَقْسَمُواْ بِاللّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءتْهُمْ آيَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا﴾**[الأنعام: ١٠٩] فإنه -سبحانه- زاد في بيان عدم جديتهم في طلب الهداية قوله: **﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلآئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلاً مَّا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ إِلاَّ أَن يَشَاء اللّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾**[الأنعام: ١١١].

وهذا رد زائد على مجرد نفي التلازم المدّعى بين وجود الآية والإيمان بها.

٢) تعالى ما جاء في سياق سورة الأنعام قبل ذكر اقتراحاتهم أنهم قوم يجحدون بآيات الله، فقدم الله تعالى بذكر هذه الحقيقة عنهم ممهداً لذلك الاقتراح، قال تعالى: **﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لاَ يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللّهِ يَجْحَدُونَ﴾**[الأنعام: ٣٣]، ثم قال الله لنبيه: **﴿وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاء فَتَأْتِيَهُم بِآيَةٍ وَلَوْ شَاء اللّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾**[الأنعام: ٣٥]. قال ابن عاشور: "عطفٌ على جملة {قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ}"[٥٤]. وعقب بذكر الاقتراح بقوله: **﴿وَقَالُواْ لَوْلاَ نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّ اللّهَ قَادِرٌ عَلَى أَن يُنَزِّلَ آيَةً وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ﴾**[الأنعام: ٣٧].

فدل التقديم بذكر جحودهم أنهم لم يقترحوا مقترحهم إلا عن تعنت، لا عن استرشاد والجاحد لا فرق عنده بين آية وأخرى؛ لانتفاء إرادة الإيمان عنده، لا لانتفاء الدليل.

https://digitalcommons.aaru.edu.jo/jois/vol15/iss2/8 10

٣) قدم الله تعالى بذكر جحودهم قبل ذكر مقترحهم في سورة العنكبوت فقال –سبحانه–: ﴿**وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَن يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ**﴾[العنكبوت: ٤٧]، وقال ﷻ: ﴿**بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ**﴾[العنكبوت: ٤٩]. ثم ذكر الله –سبحانه– اقتراحهم: ﴿**وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ**﴾[العنكبوت: ٥٠]. قال البقاعي: "ولما كان التقدير: فجحدوها بما لهم من الرسوخ في الظلم أصلاً ورأساً، ولم يعدوها آيات فضلا عن كونها بينات عطف عليه قوله: {وقالوا لولا أنزل عليه آية من ربه} أي: الذي يدعي إحسانه إليه كما أنزل على الأنبياء قبله من نحو ناقة صالح وعصا موسى ونحوهما"[٥٥].

المسلك الثالث: بيان أن الآية الكونية المقترحة تكفي من كان يريد الهداية، فأما من يريد التعنت فيستطيع التفلت منها بعلل شتى، وقد أخبر الله –سبحانه– أن الأقوام السابقة كانت تفر من التسليم بنبوة الأنبياء الذين جاءوهم بالبينات بأن يؤولوا تلك الآيات بأنها سحر، ومن ثم لم يعد للآية فعلها في النفوس طالما أن النفوس تأبى الإذعان للحق.

يقول سيد قطب: "إنهم يتخذون موقف الإعراض عناداً وإصراراً، فليس الذي ينقصهم هو الآيات الداعية إلى الإيمان ... إنما تنقصهم الرغبة في الاستجابة"[٥٦].

وقال تعالى مخبراً عن موسى وفرعون: ﴿**وَفِي مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَى فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ فَتَوَلَّى بِرُكْنِهِ وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ**﴾[الذاريات: ٣٨-٣٩]، ثم بيّن –سبحانه– أنها هذه سنة للجاحدين مع أنبيائه، فقال: ﴿**كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ**﴾[الذاريات: ٥٢].

وفي آيات المقترحات أخبر الله تعالى بانطباق هذه السنة عليهم، ومن ذلك:

١) قال تعالى: ﴿**وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعْرُجُونَ لَقَالُواْ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ**﴾[الحجر: ١٤]. قال القرطبي: "أي لو أجيبوا إلى ما اقترحوا من الآيات لأصروا على الكفر وتعللوا بالخيالات، كما قالوا للقرآن المعجز: إنه سحر"[٥٧].

٢) قال: ﴿**وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ**﴾[الأنعام: ٧]. قال البيضاوي: "وتخصيص اللمس؛ لأن التزوير لا يقع فيه فلا يمكنهم أن يقولوا: إنما سكرت أبصارنا"[٥٨]. وقال شيخ زادة: "لأنهم شأنهم الإعراض حتى لو أتاهم الدليل مدركاً بالحس والعيان لما التفتوا إليه"[٥٩].

ويلحظ أن سباق هذه الآية فيه قول الله تعالى: ﴿**وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ**﴾[الأنعام: ٤].

٣) بعد سرد اقتراحات المشركين في سورة الإسراء[٦٠] قال الله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا**﴾[الإسراء: ١٠١] قال البقاعي: "ولما قدم –سبحانه– أن أكثر الناس جحد الآيات لكونه حكم بضلاله. . شرع يسلي نبيه –عليه الصلاة والسلام– بما اتفق لمن قبله من إخوانه الأنبياء مع التنبيه على أنه يجود بالآيات على حسب المقتضيات وعلى أن خوارق العادات لا تنفع من حكم عليه بالضلال وتوجب كما سنه الله إهلاك من عصا بعد ذلك بعذاب الاستئصال، فقال عاطفا على قوله: {ولقد صرفنا للناس} {ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات} وذلك إشارة إلى أنه لو أعطي كفار قريش ما اقترحوه من تفجير الينبوع وما معه لم يكفهم عن العناد""[٦١].

٤) قال تعالى في طلبهم لآية كما أرسل موسى بآية: ﴿**فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى**﴾ قال شيخ زادة: "ثم قيل في حقهم لبيان أن اقتراحهم هذا ليس لطلب اليقين بل لمجرد التعنت والعناد: ﴿**أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلٍّ كَافِرُونَ**﴾[القصص: ٤٨][٦٢].

Jordan Journal of Islamic Studies, Vol. 15 [2019], Iss. 2, Art. 8

٥) في سورة الأعراف وبعد ذكر مقترحهم في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلا اجْتَبَيْتَهَا﴾[الأعراف: ٢٠٣] رد الله تعالى عليهم بأن القرآن هدى ورحمة لمن صدقت نيته ورغبته في الإيمان[٦٣] فقال -سبحانه-: ﴿هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[الأعراف: ٢٠٣] قال عزة دروزة: "وفي الآية تنويه جميل بأصحاب النيات الحسنة والرغبات الصادقة؛ لأنهم لا يكابرون إزاء الحق والصدق"[٦٤].

المسلك الرابع: بيان أن حصول الإيمان ليس تلازمياً بوجود الآية، بل اختيارياً، وأن للاهتداء سنناً لا بد أن يأخذ بها المدعو، فيستمع لآيات الله تعالى ولا يعرض عنها، ويعد قلبه لتقبل الحق وإن خالف ما اعتاده ونشأ عليه، يقول الشعراوي: "إن الإيمان مسألة تتطلب أن يُخرج الإنسان ما في قلبه من عقيدة وينظر إلى القضايا بتجرد"[٦٥].

قال الله تعالى في سورة الرعد: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ﴾[الرعد: ٢٧]. فرد الله تعالى عليهم بطلاقة مشيئته من جهة، وبأن للعبد في أمر اهتدائه نصيباً هو: أن يرجع فيطلب الهدى قال القرطبي: "يهدي إليه أي إلى الحق أو الإسلام، أو الله على تقدير: ويهدي إلى دينه وطاعته من رجع إليه بقلبه"[٦٦]. وقال الرسعني في تفسير {من أناب}: "أي رجع إلى الحق ولم يعاند، فليس منشأ الضلال فوات الآيات، ولا موجب الهدى الإتيان بالمقترحات"[٦٧].

الأسلوب الثاني: إبطال التلازم بين النبوة والقدرة على الإتيان بالآيات المقترحة.

تستند الشبهة الثانية إلى فرض التلازم بين النبوة والقدرة على الإتيان بالآيات المقترحة حين يطلبها المدعوون، فمن لم يأت بها فليس بنبي.

وتختلف هذه الشبهة عن الشبهة الواردة في الأسلوب الأول في أن تلك الشبهة ترتب الإيمان على مجرد الاستجابة لمقترح الخصم، بينما في هذه الشبهة يزعم المقترحون أن من صفات النبوة القدرة على الإتيان بالآية وقتما يشاء أو وقتما تطلب منه.

وجاء الرد على هذه الشبهة وما فيها من مقترحات ببيان موقع الرسل من الرسالة وأنه ليس لهم من أمر الدين إلا التبليغ، وأما الآيات فيرسلها الله تعالى لهم وفق حكمته وعلمه.

والآيات في توكيد هذا المعنى كثيرة بعضها في سياق الرد على مقترحات الكافرين، وبعضها في سياقات أخرى.

فأما في سياق الرد على مقترحات خصوم الدعوة فمنها القاعدة العامة في الرد على مثل هذه الشبهة والتي وردت في سياق الرد على قول المشركين: ﴿لَوْلا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾[الرعد: ٢٧] فرد الله تعالى بقوله: ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾[الرعد: ٣٨]. وفيه "زجر المقترحين من قريش بإنزال الملائكة المتعجبين من كون الرسول بشراً، بأنه ليس في وسع النبي محمد وغيره أن يأتي بمعجزة خارقة للعادة إلا بإذن وتمكين من الله"[٦٨].

وهي قاعدة عامة تصلح للرد على كل الاقتراحات.

أما آيات الاقتراح فمنها:

١) قال تعالى على لسان الكافرين: ﴿لَوْلا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾[العنكبوت: ٥٠]. قال البقاعي: "{إنما الآيات عند الله} أي: له الأمر كله فلا يقدر على إنزال شيء منها غيره، {وإنما أنا نذير} أقوم لكم

https://digitalcommons.aaru.edu.jo/jois/vol15/iss2/8

بما حملني وكلفني من النذارة، وليس لي أن أقترح عليه الآيات"[٦٩].

٢) في سورة الأعراف قال الله تعالى: **﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلا اجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَى إِلَيَّ مِنْ رَبِّي﴾** [الأعراف: ٢٠٣]. قال الخطيب الشربيني: "قل يا محمد: {إنما أتبع ما يوحى إلي من ربي} أي: ليس لي أن أقترح على ربي في أمر من الأمور، إنما أنتظر الوحي، فكل شيء أكرمني به قلته، وإلا فالواجب السكوت وترك الاقتراح"[٧٠].

ويلحظ أن الطلب في هذه الآية خوطب به النبي ﷺ وكأنه يستطيع اجتباءها، فلم يقولوا: "لولا أنزل عليه" بنسبة الإنزال إلى المجهول.

٣) في سورة يونس ذكر الله مقترحهم بقوله –سبحانه–: **﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ﴾**[يونس: ١٥]. قال أبو السعود: "أي: ائت بكتاب آخر نقرؤه ليس فيه ما نستبعده من البعث والحساب والجزاء وما نكرهه من ذم آلهتنا ومعايبها والوعيد على عبادتها {أو بدله} بتغيير ترتيبه بأن تجعل مكان الآية المشتملة على ذلك آية أخرى خالية عنها"[٧١].

ورد الله تعالى عليهم بأمر نبيه ببيان كونه مرسلاً لا يملك أن يبدل من تلقاء نفسه شيئاً: **﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾**[يونس: ١٥]. قال سيد قطب: "إنها ليست لعبة لاعب ولا مهارة شاعر، إنما هو الدستور الشامل الصادر من مدبر الكون كله ... فما يكون للرسول أن يبدله من تلقاء نفسه، وإن هو إلا مبلغ متبع للوحي الذي يأتيه"[٧٢].

وهنا كذلك نسب الكافرون الإتيان بقرآن آخر إلى النبي ﷺ مما ينبئ بشعورهم أن النبي ينبغي أن يستطيع ذلك.

٤) وفي سورة الإسراء[٧٣] كان الرد الأول على مقترحات الكافرين قوله تعالى: **﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾**[الإسراء: ٩٣]. قال ابن عطية: "وهل أنا إلا بشر منكم، أرسلت إليكم بالشريعة، فإنما علي التبليغ فقط"[٧٤].

٥) في سورة الأنعام التي قال الله فيها عن الكفار: **﴿وَقَالُواْ لَوْلاَ نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّ اللّهَ قَادِرٌ عَلَى أَن يُنَزِّلَ آيَةً وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ﴾**[الأنعام: ٣٧]. قال الله فيها في لحاق الآيات: **﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ﴾**[الأنعام: ٤٨] قال ابن عجيبة: "ولم نرسلهم ليقترَح عليهم ويتّهى بهم، ثم قال بعدها: **﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ﴾**[الأنعام: ٥٠] أي: فآتيكم منها بكل ما تقترحون علي من المعجزات"[٧٥]. قال السمعاني: "أنزل هذا حين اقترحوا الآيات"[٧٦].

وجاء الرد الأخير في السياق {إن أتبع إلا ما يوحى إلي} فختم الكلام بنفي كونه سوى رسول يتبع ما يوحي إليه من مرسله جل وعلا.

الأسلوب الثالث: بيان أن الآيات تتبع المشيئة الإلهية وفق العلم والحكمة ولا تتبع أهواء الناس.

صاغ الإمام الرازي هذه الشبهة في تفسير قوله تعالى: **﴿وَقَالَ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوّاً كَبِيراً﴾**[الفرقان: ٢١]، قال الرازي: "تقرير هذه الشبهة أن من أراد تحصيل شيء، وكان له إلى تحصيله طريقان، أحدهما: يفضي إليه قطعا، والآخر: قد يفضي وقد لا يفضي، فالحكيم يجب عليه في حكمته أن يختار في تحصيل ذلك المقصود الطريق الأقوى والأحسن، ولا شك أن إنزال الملائكة ليشهدوا بصدق محمد ﷺ أكثر إفضاء إلى المقصود، فلو أراد الله تعالى تصديق محمد ﷺ لفعل ذلك، وحيث لم يفعل ذلك علمنا أنه ما أراد تصديقه، هذا

حاصل الشبهة"[٧٧].

الرد: جاء الرد القرآني على هذه الشبهة من وجوه:

الوجه الأول: أن الاشتراط والتحكم لا يليق بمقام العبودية.

قال الله تعالى واصفاً من اقترح على نبيه الآيات: ﴿**وَقَالَ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوّاً كَبِيراً**﴾[الفرقان: ٢١]، قال الرازي: "إن الله يفعل بحسب المشيئة، فليس للعبد أن يقترح على ربه، فإنه –سبحانه– فعال لما يريد، فكان الاقتراح استكبارا وعتوا وخروجاً عن حد العبودية إلى مقام المنازعة والمعارضة"[٧٨].

وفي سورة الإسراء رد الله –سبحانه– على اقتراحاتهم ببيان بقوله: ﴿**قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا**﴾[الإسراء: ٩٣] وعن سر الأمر بالتسبيح في سياق الرد عليهم قال السعدي: "ولما كانت هذه تعنتات وتعجيزات ... متضمنة لرد الحق وسوء أدب مع الله، وأن الرسول هو الذي يأتي بالآيات أمره الله أن ينزهه فقال: قل سبحان ربي عما تقولون علوا كبيراً، و –سبحانه– أن تكون أحكامه وآياته تابعة لأهوائهم الفاسدة، وآرائهم الضالة"[٧٩].

الوجه الثاني: أن إنزال الآيات بيد الله تعالى يرتبط بالمشيئة المطلقة لله والحكمة المطلقة، وليس بأهواء الناس.

ومن أمثلته:

١- في سورة الرعد التي فيها قوله تعالى: ﴿**وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ**﴾[الرعد: ٢٧] ختم الله هذه السورة بذكر قواعد في الاعتقاد، ونهى نبيه عن اتباع أهوائهم، قال –سبحانه–: ﴿**وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَمَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ**﴾[الرعد: ٣٧] فجعل طاعتهم في اقتراحاتهم بعد نزول القرآن العربي – اتباعاً لأهوائهم ونهى نبيه عن ذلك. قال سعيد حوى: "ختم الله الرد الثالث بتثبيت النبي ﷺ على الحق الموحى إليه، وأن عليه ألا يبالي باقتراحاتهم"[٨٠]. وأعقب ذلك بذكر أن أمر الآيات تابع لمشيئة الله المطلقة: ﴿**وما كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ**﴾[الرعد: ٣٨] قال الشوكاني: "أي لم يكن لرسول من الرسل أن يأتي بآية من الآيات، ومن جملتها ما اقترحه عليه الكفار إلا بإذن الله –سبحانه–. وفيه رد على الكفار حيث اقترحوا على رسول الله ﷺ من الآيات ما اقترحوا بما سبق ذكره"[٨١].

٢- في قوله تعالى: ﴿**وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ**﴾ [يونس: ٢٠]، يقول سيد قطب: "جواب في طيه الإمهال، وفي طيه التهديد، وفي طيه بعد ذلك بيان حدود العبودية في جانب الألوهية فإن محمدا ﷺ وهو أعظم الأنبياء المرسلين لا يملك من أمر الغيب شيئا"[٨٢].

الوجه الثالث: أن هذا الأمر يفتح باب التلاعب فكل يطلب آية لا تعجب الآخر، وينفتح باب التلاعب بالدين. قال الرازي في تفسير الآيات المتضمنة لاقتراحات المشركين في سورة الإسراء: "وليس من شرط كونه نبيا صادقا تواتر المعجزات الكثيرة وتواليها؛ لأننا لو فتحنا هذا الباب للزم أن لا ينتهي الأمر فيه إلى مقطع، وكلما أتى الرسول بمعجز اقترحوا عليه معجزا آخر ولا ينتهي الأمر فيه إلى حد ينقطع عنده عناد المعاندين، وتغلب الجاهلين"[٨٣].

الأسلوب الرابع: بيان أنه لا يشترط كون الآية محسوسة، وأن القرآن آية عقلية كافية لما أراد الإيمان.

مضمون هذه الشبهة أن الإيمان لا يتأتى إلا بأن يشهد الناس الآية المقترحة بحواسهم، وحينها تسمى آية، فأما آيات القرآن فليست بآيات عندهم(٨٤).

وهذه الشبهة وردت في قول الله تعالى: ﴿**وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَه**﴾[الأنعام: ١٢٤]. وفي قوله تعالى على لسانهم: ﴿**أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرَؤُهُ**﴾[الإسراء: ٩٣].

وغيرها من الآيات التي يطلبون فيها الآية المحسوسة شرطاً للإيمان معرضين عن آيات القرآن، عادّينها غير كافية في الدلالة على النبوة.

الرد: يتكون الرد على هذه الشبهة من ثلاثة مسالك:

المسلك الأول: أن هذا الدين إنما جاء؛ ليرفع الإنسان من خضوعه للمحسوسات ليرتقي في نظره إلى الآية المعنوية، والتي تضمن وجود المعجزة إلى يوم القيامة بدلاً من المعجزة الفانية، وهي الأليق بالرسالة الخاتمة الباقية على الزمان والمكان.

يقول سيد قطب في تفسير قوله تعالى: ﴿**وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ**﴾[الأنعام: ٣٥]: "كانوا يطلبون آية خارقة كالخوارق المادية التي صاحبت الرسالات السابقة، ولا يقنعون بآية القرآن الباقية، التي تخاطب الإدراك البشري الراشد، وتعلن عهد الرشد الإنساني، وتحترم هذا الرشد فتخاطبه هذا الخطاب الراقي؛ والتي لا تنتهي بانتهاء الجيل الذي يرى الخارقة المادية؛ بل تظل باقية تواجه الإدراك البشري بإعجازها إلى يوم القيامة"(٨٥).

المسلك الثاني: أن الإيمان المعتد به ما كان اختيارياً، والآية المطلوبة ملجئة إلى الإيمان قال تعالى: ﴿**إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ**﴾[الشعراء: ٤]. قال البيضاوي: "{إن نشأ ننزل عليهم من السماء آيةً} دالّة ملجئة إلى الإيمان أو بليةً قاسِرةً عليه"(٨٦). قال القونوي: "وعدم إنزالها لئلا يكون الإيمان بالمشاهدة أو كالمشاهدة، والمقبولُ الإيمانُ بالغيب"(٨٧). وهذا كما قال الرازي: "مُخلٌّ بصحة التكليف"(٨٨)، وقال طنطاوي جوهري: "إن هذا القرآن نزل لارتقاء العقول، فلا حاجة إلى تلك المزعجات السماوية والصواعق النارية؛ لأننا أنزلناها على الأمم الغابرة والأجيال البائدة فما أغنت عنهم ولا انتفعوا بها ... أما هذه الأمم المستقبلة فشعارها الحكمة والعلم"(٨٩).

لذا كان الرد المنهجي هو: "أنه لا حيدة عن المنهج الفكري في الإيمان، أما منهج ليّ الأعناق بالآيات الخارقة فلا"(٩٠).

المسلك الثالث: التركيز على كفاية القرآن آيةً دالةً على الله تعالى.

١- في سياق الرد على شبهتهم أكد القرآن أن من لم تكفه آية القرآن فلن تكفيه أيّ آية مقترحة، قال تعالى: ﴿**وَقَالُواْ لَوْلاَ أُنزِلَ عَلَيْهِ آية من ربه قل إِنَّمَا ٱلآيٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَاْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ أَوَ لَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ**﴾[العنكبوت: ٥٠-٥١]، قال أبو حيان: "أولم يكفهم آية مغنية عن سائر الآيات، إن كانوا طالبين للحق غير متعنتين، هذا القرآن الذي تدوم تلاوته عليهم في كل مكان وزمان؟ فلا تزال معهم آية ثابتة لا تزول ولا تضمحل، كما تزول كل آية بعد وجودها"(٩١).

٢- في رده على اقتراحهم في سورة الرعد(٩٢) قال الله تعالى: ﴿**وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ**

Jordan Journal of Islamic Studies, Vol. 15 [2019], Iss. 2, Art. 8

بِهِ الْمَوْتَى بَل لله الأمْرُ جَمِيعًا﴾[الرعد: ٣١]. قال الزمخشري: "{وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا} جوابه محذوف، كما تقول لغلامك: لو أني قمت إليك، وتترك الجواب والمعنى: ولو أن قرآنا {سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ} عن مقارّها، وزعزعت عن مضاجعها {أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلأَرْضُ} حتى تتصدع وتتزايل قطعاً {أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ} فتسمع وتجيب، لكان هذا القرآن لكونه غاية في التذكير ونهاية في الإنذار والتخويف"[٩٣]. وقال الآلوسي: "كأنه قيل: لو أن ظهور أمثال ما اقترحوه من مقتضيات الحكمة لكان مظهرها هذا القرآن الذي لم يعدّوه آية"[٩٤]. فإنه "أدل على ما يطلبون من الآيات الكونية"[٩٥].

وبعد اقتراحهم المتضمن في قوله تعالى: **﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلاَ أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ﴾**[الرعد ٢٧] عقب الله تعالى بذكر كفاية القرآن لاطمئنان القلوب فقال: **﴿ٱلَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ ٱللَّهِ أَلاَ بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾** [الرعد: ٢٨]، قال الثعالبي: "{ألا بذكر الله تطمئن القلوب} أي: لا بالآيات المقترحة التي ربما كفر بعدها فنزل العذاب"[٩٦].

الأسلوب الخامس: بيان بطلان مقاييس الخصوم فيما يطلبون من مقترحات.

جاء هذا الأسلوب رداً على مضمون بعض مقترحات خصوم الدعوة التي يفهم منها أنهم يريدون أن تكون مقاييسُهم وقِيَمُهم التي تواضعوا عليها هي معيار الحق، وأن ينزل الدين بما يوافق تلك المقاييس، ومن ذلك:

١- اقتراح الكافرين أن الأحق بالنبوة من كان عظيماً بمعايير مجتمعهم، فقالوا: **﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾**[الزخرف: ٣١].

٢- اقتراح الكافرين أن ينزل الله على نبيه كنزاً، إذا لا يليق بمن كان مقرباً عند الله أن لا يكون ثرياً. قال تعالى: **﴿وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا * أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا﴾**[الفرقان ٧-٨].

الرد: يأتي الدين ليشكل منظومة القيم التي تحكم مجتمعا ما، لا ليَخضَع لقيم ذلك المجتمع أو يعطيها غطاء إلهياً. لكن المعرضين عن الدين يريدون إخضاع "رسالة التغيير" لتصبح "رسالة إقرار" لقيم مجتمعهم، فيقترحون ما يوافق مقاييسهم وقيم مجتمعهم.

لذا رد الله عليهم مقترحاتهم بما يبين هذا المعنى في الدين.

ومن هذه الاقتراحات التي وجهوها انطلاقاً من هذه الشبهة:

١- قوله تعالى: **﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ * أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾**[الزخرف ٣١-٣٢].

قال الرازي: "قالوا: منصب رسالة الله منصب شريف فلا يليق إلا برجل شريف، وقد صدقوا في ذلك إلا أنهم ضموا إليه مقدمة فاسدة وهي أن الرجل الشريف هو الذي يكون كثير المال والجاه"[٩٧]. وقال سيد قطب: "يحكي القرآن تخليطهم في القيم والموازين وهم يعترضون على اختيار الله لمحمد ﷺ ليحمل إليهم الحق والنور ... فرد عليهم القرآن مستنكراً هذا الاعتراض على رحمة الله ... وعلى خلطهم بين قيم الأرض وقيم السماء"[٩٨].

ويؤكد هذا الميل عندهم أنهم اقترحوا أن ينزل عليهم الوحي كما ينزل على النبي ﷺ. كما قال الله تعالى: **﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ﴾**[الأنعام ١٢٤]. قال ابن كثير: "حتى تأتينا الملائكة من الله بالرسالة كما

https://digitalcommons.aaru.edu.jo/jois/vol15/iss2/8 16

تأتي إلى الرسل كقوله –جل وعلا–: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا﴾[الفرقان: ٢١] ... وذلك أنهم كانوا يزدرون بالرسول –صلوات الله وسلامه عليه– بغياً وحسداً، وعنادا واستكبارا، كما قال تعالى عنهم: ﴿وَإِذَا رَآكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ﴾[الأنبياء: ٣٦] ... هذا وهم معترفون بفضله وشرفه و نسبه وطهارة بيته ومرباه ومنشئه"(٩٩).

٢- في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا * أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا * انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا * تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلْ لَكَ قُصُورًا﴾[الفرقان: ٧-١٠].

يقول عبد الكريم الخطيب: "هم أولاء يسلمون جدلا أن يكون محمدٌ رسولا، يأكل الطعام ويمشي في الأسواق، ولكن كيف يكون على هذه الحال من الضيق في العيش وهو على صلة بالله؟ الذي يفيض بالخير على الناس؟ ألا يلقي إليه ربه كنزا من السماء ينفق منه عن سعة، أولا يجعل له ربه جنة يأكل منها، ... إن الذي يتصلون بالملوك يعيشون في رخاء ... فكيف تكون تلك الحال من الفقر لمن يدعي الصلة بالله؟ إن مقاييس الناس عندهم بما ملكوا من مال ... ومن هنا كان حسابهم قائما على ميزان فاسد ... وجاء الرد {تبارك الذي إن شاء جعل لك خيرا من ذلك} لجعل لك بدل الجنة جنات وبدل القصر قصورا ولكنه –سبحانه– ضن بك على هذه الدنيا أن تشغل قلبك"(١٠٠).

الأسلوب السادس: بيان أن الاقتراح ناتج عن جهل المقترحين.

يستند المقترحون على النبي ﷺ آيات معينة إلى علمهم بالأصلح فيما يقترحون.

الرد: إن من يقترح شيئاً ينبغي أن ينطلق من قاعدة العلم بأصل هذا الشيء ومآله، والمشركون كانوا يقترحون ما هم جاهلون بأصله وبمآله، فرد الله تعالى عليهم بما يثبت جهلهم.

من ذلك ما سجله الله تعالى من وصفهم بأنهم لا يعلمون في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾[البقرة: ١١٨].

وآيات الاقتراح على النبي ﷺ حملت جهلاً من قائليها قال القرطبي: "بين الله تعالى في مواضع أن اقتراح الآيات على الرسل جهل"(١٠١). وجاءت الردود القرآنية تكشف ذلك الجهل، وتسجله عليهم في ثلاث أنواع:

النوع الأول: جهلهم بالحكمة من عدم إنزال الآيات المقترحة مع القدرة عليها.

إن أفعال الله تعالى منوطة بالحكمة المطلقة، وعدم إدراك المشركين ذلك جعلهم يقترحون على الله ﷻ آيات رأوا أنها كافية لجعلهم يؤمنون دون غيرها مما أنزل الله تعالى، قال الرازي: "لم يجز لهم أن يعينوا المعجز؛ إذ ربما كان إظهار ذلك المعجز مشتملا على مفسدة لا يعرفها إلا الله تعالى، وكان التعيين استكباراً وعتواً من حيث إنه لما ظنه مصلحة قطع بكونه مصلحة، فمن قال ذلك فقد اعتقد في نفسه أنه عالم بكل المعلومات"(١٠٢).

ومثاله قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنَزِّلَ آيَةً وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ٣٧].

قال الطبري: "لا يدرون ما وجه ترك إنزال ذلك عليك ولو علموا السبب الذي من أجله لم ينزلها عليك لم يقولوا ذلك

ولم يسألوكه ولكن أكثرهم لا يعلمون ذلك"[١٠٣]. أي: يجهلون الحكمة من ترك الإنزال. ومن أمثلة ذلك الجهل – جهلهم بسنة الله تعالى فيمن يطلب آية بعينها ثم يكذب بها.

قال تعالى: **﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾**[الإسراء: ٥٩].

قال النيسابوري: "والمعنى وما صرفنا عن إرسال ما يقترحونه من الآيات {أن كذب بها الأولون} ... وأنها لو أرسلت لكذبوا بها واستوجبوا عذاب الاستئصال على ما أجرى الله به عادته"[١٠٤]. وقال الماتريدي: "وقد مضت السنة منا على الإهلاك إذا أنزلنا الآيات إثر سؤالهم إياها ثم التكذيب من بعد ... ألا ترى أن عيسى عليه السلام سألوه أن يسأل ربه أن ينزل عليهم مائدة من السماء لتكون لهم آية منه، فسأله فأخبره أنه ينزلها عليهم ثم أخبر ما يفعل بهم إذا كفروا بعد ذلك"[١٠٥].

ويؤيد ذلك الحديث الذي رواه الإمام أحمد عن ابن عباس قال: قال: "قالت قريش للنبي ﷺ: ادع لنا ربك أن يجعل لنا الصفا ذهباً، ونؤمن بك ، قال: وتفعلون؟ قالوا: نعم ، قال: فدعا، فأتاه جبريل، فقال: "إن ربك عز وجل يقرأ عليك السلام، ويقول لك: إن شئت أصبح لهم الصفا ذهبا، فمن كفر بعد ذلك منهم عذبته عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين، وإن شئت فتحت لهم باب التوبة والرحمة، قال: "بل باب التوبة والرحمة"[١٠٦].

<u>النوع الثاني:</u> جهلهم بعاقبة طلبهم نزول الملائكة.

مثاله: تكرر اقتراح نزول الملائكة كثيراً على لسان خصوم الدعوة، فمن ذلك:

قوله تعالى: **﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ﴾**[الأنعام: ٨] يعني: "{أنزل عليه ملك} يكلمنا أنه نبي"[١٠٧].

وكان الجواب في ردين كاشفين لجهلهم بشأن ما يقترحون:

الرد الأول: قوله تعالى: **﴿وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ﴾**[الأنعام: ٨] أي: لكفروا به ولعذبوا كما سبق بيانه[١٠٨]. أو "لزهقت أرواحهم من هول ما يشاهدون؛ لعدم قدرتهم على رؤية الملك بصورته الحقيقية"[١٠٩].

وبمثل هذا الرد أجابهم الله تعالى في سورة الحجر: **﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ * لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾**[الحجر: ٦-٧]. وجاء الرد عليهم: **﴿مَا نُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذًا مُنْظَرِينَ﴾** [الحجر: ٨]. ولكن جهلهم يدعوهم إلى اقتراح ما فيه هلاكهم.

وفي قوله تعالى: **﴿وقال الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا﴾**[الفرقان ٢١] رد عليهم بمثل ذلك فقال: **﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا﴾**[الفرقان: ٢٢]. وهو كناية عن جهلهم بعاقبة ما يقترحون. وأردف قائلاً: **﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا * الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا﴾**[الفرقان: ٢٥-٢٦]، وتلك هي الفرصة التي يمكن أن يرى فيها هؤلاء وغيرهم الملائكة"[١١٠].

الرد الثاني: ﴿ولو جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ﴾[الأنعام: ٩].

ومعناه: "لو أرسلناه إليهم ملكا لجعلناه رجلاً يعني في صورة رجل آدمي؛ لأنهم لا يستطيعون النظر إلى الملائكة، فيظنون أن ذلك الملك بشراً فيعود سؤالهم: إنا لا نرضى برسالته"[١١١]. وفي قصة ضيف إبراهيم من الملائكة عبرة فإن الأمر التبس على إبراهيم عليه السلام، فدعاهم إلى الطعام حتى أخبروه بكونهم ملائكة[١١٢]، وكذا فقد التبس على قوم لوط مجيء الملائكة على هيئة البشر[١١٣].

ويؤيد ذلك جوابه –سبحانه– عليهم في اقتراحهم أن يكون الرسول ملكاً، قال تعالى: ﴿**وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا**﴾[الإسراء: ٩٤].

فجاء الجواب كاشفاً جهلهم، قال تعالى: ﴿**قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا**﴾[الإسراء: ٩٥].

وكلا الردين يكشفان عن جهلهم بطبيعة الملائكة، وبطبيعة التكليف وأنه على الإيمان بالغيب كما سلف، لا على المعاينة.

النوع الثالث: ما اقترحوه من إنزال القرآن جملة واحدة. ﴿**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا**﴾[الفرقان: ٣٢].

مبنى هذا الاقتراح جهلهم بسنة الله في التدرج في التشريع. وبِحِكَمِ التدرج في التنزيل التي ذكرها العلماء. والذي نص عليه القرآن منها هنا هو تثبيت قلب النبي ﷺ قال الطبري: "لنصحح به عزيمة قلبك ويقين نفسك"(١١٤).

الأسلوب السابع: توجيه النبي ﷺ ومن معه إلى عدم التأثر النفسي بهذه المقترحات.

أثبت القرآن تأثر النبي ﷺ والمؤمنين باقتراحات خصوم الدعوة قال تعالى: ﴿**فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ**﴾[هود: ١٢]، وهذا ما يجعل النبي ﷺ والمؤمنين تحت ضغط عاطفة الشفقة، والحرص على إيمان الخصوم يتمنون نزول الآيات المقترحة.

وجاء الرد على هذا الأمر في سياق آيات المقترحات على قسمين: الأول: يتوجه إلى النبي ﷺ، والثاني: إلى الجماعة المؤمنة في عصره.

القسم الأول: وهو موجه للنبي ﷺ يعاتبه على تجاوز الحد في الرحمة والشفقة بما يؤدي إلى ضيق صدره، وإلى أن يترك بعض ما يوحى إليه. وقد أخذ هذا الرد أربع صور:

– **الصورة الأولى:** عتاب الله تعالى نبيه –عليه الصلاة والسلام– على زيادة الحرص على هداهم إلى الحد الذي يكاد يقتل نفسه بذلك الحرص، قال تعالى في سورة الشعراء قال الله تعالى لنبيه: ﴿**لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ * إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ**﴾[الشعراء ٣-٤]. قال مكي: "لعلك قاتل نفسك يا محمد لأجل تأخرهم عن الإيمان بك"(١١٥). وقال الميداني: "وفيه إشارة إلى تطلع الرسول صلى ورغبته في أن ينزل الله ﷻ على قومه آية خارقة، تجعلهم يؤمنون خاضعين لسلطانها وتكون سببا لإنقاذهم من عذاب النار يوم الدين"(١١٦).

– **الصورة الثانية:** قَصْرِ النبي –عليه الصلاة والسلام– على وظيفة الإنذار كما في قوله تعالى في سورة هود: ﴿**فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ**﴾[هود: ١٢] يقول سيد قطب: "و"لعل" هنا تحمل معنى الاستفهام. وهو ليس استفهاماً خالصاً، إنما يتلبس به أن المتوقع من النفس البشرية أن تضيق صدراً بهذا الجهل، وبهذا التعنت، وبهذه الاقتراحات السخيفة التي تكشف عن بعد كامل عن إدراك طبيعة الرسالة ووظيفتها. فهل سيضيق صدرك يا محمد وهل سيحملك هذا الضيق على أن تترك بعض ما أنزل إليك فلا تبلغه لهم، كي لا يقابلوه بما اعتادوا أن يقابلوا به نظائره فيما أخبرتهم من قبل؟"(١١٧).

وهذا الأمر يتكرر كما في قوله تعالى في سورة الرعد: ﴿**وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ**﴾[الرعد: ٧]. "فعلم الله نبيه الاكتفاء بهذا الدور الذي ليس له بعده من الأمر شيء[١١٨].

– **الصورة الثالثة:** الطلب إلى رسول الله أن يحضر لهم ما يطلبونه إن كان يستطيع ما دام شديد الحرص على ذلك.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ**﴾[الأنعام: ٣٥].

ويهدف هذا البيان إلى إعادة مَركزة النبي ﷺ في مكانه الأصل من الدين وهو التبليغ؛ لأن المشركين يستغلون حرصه ﷺ لجرِّه إلى دور آخر لم يرسله الله لأجله. قال الرازي: "والمقصود أنه لا ينبغي أن يشتد تحسرك على تكذيبهم، ولا يجوز أن تجزع من إعراضهم عنك فإنك لو فعلت ذلك قرب حالك من حال الجاهل، والمقصود من تغليظ الخطاب التبعيد والزجر له عن مثل هذه الحالة"[١١٩].

– **الصورة الرابعة:** توضيح كون طلب الخصوم للآيات المقترحة ليس للانتفاع، وتحذير النبي ﷺ من السير معهم في اقتراحاتهم.

والذي يمثل ذلك ما وجه به الله تعالى نبيه ﷺ في سورة الروم، حيث سرد عليه طائفة من الآيات الكونية ثم قال له: ﴿**وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ * فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ * وَمَا أَنْتَ بِهَادِ الْعُمْيِ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ**﴾[الروم: ٥١-٥٣]، ثم ختم السورة بقوله –سبحانه–: ﴿**وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِنْ جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ**﴾[الروم: ٥٨]. قال الرازي: "إشارة إلى إزالة الأعذار والإتيان بما فوق الكفاية من الإنذار، وإلى أنه لم يبق من جانب الرسول تقصير، فإن طلبوا شيئاً آخر فذلك عناد ومن هان عليه تكذيب دليل لا يصعب عليه تكذيب الدلائل"[١٢٠].

وقال البقاعي: "{ولئن جئتهم بآية} أي: دلالة واضحة على صدقك معجزة، غير ما جئتهم به– مما اقترحوه ووعدوا الإيمان به مرئية كانت أو مسموعة ﴿**لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ**﴾"[١٢١]، ثم ختم السورة بأمر نبيه بالصبر وعدم الانجرار معهم فيما يطلبون، فقال: ﴿**فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ**﴾[الروم: ٦٠].

<u>القسم الثاني:</u> ما توجه به الله إلى المؤمنين الحريصين على إسلام المشركين والذين تمنوا أن يستجيب النبي ﷺ للاقتراحات.

وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿**وَأَقْسَمُواْ بِاللّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءتْهُمْ آيَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الآيَاتُ عِندَ اللّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءتْ لاَ يُؤْمِنُونَ**﴾[الأنعام: ١٠٩] قال الخازن: "لأن المشركين كانوا حلفوا أنهم إذا جاءتهم آية آمنوا وصدقوا واتبعوا رسول الله ﷺ فأحب أصحاب رسول الله ﷺ إنزال الآيات لذلك فقال الله تعالى: وما يشعركم أيها المؤمنون أن الآيات إذا جاءت هـؤلاء المشركين لا يؤمنون"[١٢٢]. ويقول سيد قطب: "إن هؤلاء المشركين يقسمون بالله جهد أيمانهم أن لـو جاءتهم خارقة مادية ليؤمنن بها، الأمر الذي جعل بعض المسلمين حين سمعوا أيمانهم يقترحون على رسول الله ﷺ أن يسأل ربه هذه الآية التي يطلبون ... ويجيء الرد الحاسم على المؤمنين ببيان طبيعة التكذيب في هؤلاء المكذبين"[١٢٣].

كما أشار الله تعالى في سورة الرعد إلى رغبة المؤمنين في ذلك فقال –سبحانه–: ﴿**وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا**﴾ وبعدها وجه الله تعالى المؤمنين إلى التسليم بحكمة الله تعالى في عدم اهتدائهم رغم أنه لو شاء –سبحانه– لهداهم لكنه نصب لهم الدلائل فأبوا الاستجابة: ﴿**أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَوْ**

يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعاً﴾[الرعد: ٣١]. قال الواحدي: "وكان المسلمون قد أرادوا أن يظهر رسول الله صلى لهم آية ليجتمعوا على الإيمان فقال الله: **﴿أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعاً﴾** لهداهم من غير ظهور الآيات)[١٢٤]. وقال الشعراوي: "إن الإيمان مسألة ليست مرتبطة برغبة المؤمن من هؤلاء، بل الإيمان مسألة تتطلب أن يُخرج الإنسان ما في قلبه من عقيدة وينظر إلى القضايا بتجرد"[١٢٥].

وبهذا التوجيه القرآني تنتهي سلسلة الأساليب التي واجه بها القرآن الكريم شبهات خصوم الدعوة في مسألة المقترحات والتشغيب بها على الدعوة.

الخاتمة.

في نهاية الدراسة يلخص الباحث أبرز ما توصل إليه في دراسته في الآتي:

١- يعدّ التحدي بالاقتراح من أساليب الصراع الفكري والحرب النفسية الموجهة إلى الدعوة الإسلامية.

٢- هدف خصوم الدعوة إلى أهداف عدة من استعمال أسلوب الاقتراح، وهو ما كشفته الآيات القرآنية، وحذرت النبي ﷺ والمؤمنين منه.

٣- تنوعت مقترحات خصوم الدعوة، فاتجهت بعضها إلى الاقتراح في شأن الله تعالى، وبعضها في شأن القرآن، وبعضها في شأن النبوة، إضافة إلى مقترحات أخرى.

٤- أفرد القرآن لهذه المسألة مساحة كبيرة لعرض شبهات الخصوم في المقترحات، ولعرض الردود عليها، مما يدل على أهميتها وتأثيرها في مسار الدعوة.

٥- كان القرآن يرد على المقترح أحياناً قبل إيراده، وأحياناً بعد إيراده في سياق الآيات.

٦- تعددت الردود القرآنية على المقترح الواحد.

٧- تعددت أساليب القرآن الكريم في الرد.

والحمد لله رب العالمين

الهوامش.

(١) أحمد إسماعيل إبراهيم نوفل، **الحرب النفسية من منظور إسلامي**، دار الفرقان، عمان، ١٩٨٧م، (ط٢)، ص٢٨.

(٢) خالد نواف أحمد الشوحة، **الحوار مع الآخر في القرآن الكريم عند المفسرين والمفكرين المعاصرين**، رسالة دكتوراه (غير منشورة)، جامعة اليرموك، كلية الشريعة، قسم أصول الدين، ٢٠٠٧م.

(٣) عبد الرحمن بن عبد الجبار الهوساوي، **منهج القرآن الكريم في تثبيت النبي ﷺ وتكريمه**، دار الذخائر، الدمام، ١٩٩٢م، (ط١)، ص٢١٩-٢٤٣.

(٤) ابن فارس، أحمد بن فارس (٣٩٥هـ)، **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، دمشق، ١٩٧٩م، ج٥، ص٨٢.

(٥) وينظر: ابن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، ج٥، ص٨٣.

(٦) الرازي، محمد بن أبي بكر (٦٦٦هـ)، **مختار الصحاح**، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٩٩م، (ط٥)،

Jordan Journal of Islamic Studies, Vol. 15 [2019], Iss. 2, Art. 8

ص٢٥٠.

(٧) الماتريدي، **تأويلات أهل السنة**، ج٩، ص٢٢٩.

(٨) محمد الطاهر ابن عاشور (ت ١٣٩٣هـ)، **التحرير والتنوير**، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ٢٠٠٠م، (ط١)، ج٦، ص٨٥.

(٩) الزمخشري، محمود بن عمرو (٥٣٨هـ)، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧هـ، (ط٣)، ج٢، ص٢١٦.

(١٠) على القول بأن المخاطبين هم المشركون وهو الراجح. ينظر: الرسعني، عبد الرزاق بن رزق الله (ت ٦٦١هـ)، **رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز**، تحقيق: عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، مكة المكرمة، مكتبة الأسدي، ٢٠٠٨م، (ط١)، ج٢، ص٣٩٣.

(١١) الأصفهاني، الحسين بن محمد (٥٠٢هـ)، **المفردات في غريب القرآن**، تحقيق: صفوان الداودي، دمشق–بيروت، دار القلم، الدار الشامية، ١٤١٢هـ، (ط١)، ص٦٢٢.

(١٢) أبو السعود، محمد بن محمد (٩٨٢هـ)، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج٤، ص١٤.

(١٣) محمد بن علي الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ)، **فتح القدير**، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٩م، (ط١)، ج٢، ص٣٦٠.

(١٤) ينظر: الطباطبائي، محمد حسين (ت ١٤٠٢هـ)، **الميزان في تفسير القرآن**، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٩٧٣م، (ط٣)، ج٢٠، ص٣٨٨. وينظر: الصابوني، محمد علي، **صفوة التفاسير**، دار القرآن الكريم، بيروت، ١٩٨١م، (ط٤)، ج٢، ص٤١٨.

(١٥) ابن جزي، محمد بن أحمد (ت ٧٤١هـ)، **التسهيل لعلوم التنزيل**، دم، دار الفكر، د.ت، (د.ط)، ج٢، ص١٠٢.

(١٦) نوفل، **الحرب النفسية من منظور إسلامي**، ص٢٩. وينظر: هوساوي، **منهج القرآن الكريم في تثبيت النبي** ﷺ، ص٢١٩.

(١٧) ينظر: نوفل، **الحرب النفسية من منظور إسلامي**، ص٣١.

(١٨) الواحدي، **الوجيز**، ج١، ص٥٧٣.

(١٩) هوساوي، **منهج القرآن في تثبيت النبي** ﷺ، ص ٢١٩.

(٢٠) الماتريدي، محمد بن محمد (٣٣٣هـ)، **تأويلات أهل السنة**، تحقيق: فاطمة يوسف الخمي، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت، ٢٠٠٤م، (ط١)، ج٣، ص١٩٣.

(٢١) ينظر: فضل الله، محمد حسين (٢٠١٠م)، **من وحي القرآن**، دار الملاك، بيروت، ١٩٩٨م، (ط٢)، ج١٧، ص٢٣.

(٢٢) البيضاوي، عبد الله بن عمر (٦٨٥هـ)، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٨م، (ط١)، ج١، ص٨٤.

(٢٣) القشيري، **لطائف الإشارات**، ج١، ص٣٨٥.

(٢٤) لتقسيم آخر ينظر: الهوساوي، **منهج القرآن الكريم في تثبيت النبي ﷺ وتكريمه**، ص٢١٩–٢٤٣.

(٢٥) البيضاوي، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، ج٢، ص١٧٧.

(٢٦) **المرجع السابق**، ج٢، ص١٧٧. وينظر: ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج٣، ص٢٥٣.

(٢٧) الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، ج٢، ص٣٣٦–٣٣٧.

(٢٨) السمعاني، **تفسير القرآن**، ج٣، ص٧٩.

(٢٩) المرجع السابق، ج٣، ص٩١.

(٣٠) القشيري، **لطائف الإشارات**، ج٢، ص٤٨٩–٤٩٠. وينظر: السمعاني، **تفسير القرآن**، ج٣، ص٣٦٥.

(٣١) الماوردي، **النكت والعيون**، ج٤، ص٢٨٨.

(٣٢) القنوجي، **فتح البيان في مقاصد القرآن**، ج٥، ص١١٢.

https://digitalcommons.aaru.edu.jo/jois/vol15/iss2/8

(٣٣) الشربيني، محمد بن أحمد (٩٧٧هـ)، **السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير**، الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٢م، (ط١)، ج١، ص٦٢٨.

(٣٤) الواحدي، **التفسير البسيط**، ج١٣، ص٤٧٧.

(٣٥) البيضاوي، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، ج٤، ص١٢١.

(٣٦) القشيري، **لطائف الإشارات**، ج٢، ص٢٦٤.

(٣٧) البغوي، الحسين بن مسعود(٥١٠هـ)، **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، حققه وخرج أحاديثه: محمد عبد الله النمر وآخرون، دار طيبة للنشر والتوزيع، بيروت، ج٣، ص١٢٩.

(٣٨) أبو السعود، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، ج٦، ص٢١٥.

(٣٩) **المرجع السابق**، ج٤، ص١٢٨.

(٤٠) البقاعي، إبراهيم بن عمر (٨٨٥هـ)، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ١٩٩٢م، (ط٢)، ج١٧، ص٤٢٠.

(٤١) الآلوسي، محمود بن عبد الله (١٢٧٠هـ)، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥م، (ط٢)، ج٤، ص٩٣.

(٤٢) الماتريدي، **تأويلات أهل السنة**، ج٩، ص٢٢٩.

(٤٣) القشيري، **لطائف الإشارات**، ج٢، ص٣٦٩.

(٤٤) الزمخشري، **الكشاف**، ج٢، ص٣٨٢.

(٤٥) التزاماً بالمنهج الاستقرائي رأى الباحث تكوين القواعد الكلية في منهج الرد بدلاً من مناقشة كل آية على حدة؛ حيث إن بعض القواعد مأخوذة من مجموع آيات، كما أن بعض المقترحات رد عليها القرآن بمجموعة ردود فاندرجت تحت أكثر من قاعدة، فكرر الباحث إيرادها؛ لضرورة التزام المنهج.

(٤٦) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٦، ص٢٦٧.

(٤٧) رجحه ابن عاشور ينظر: **المرجع السابق**، ج٦، ص٢٦٨.

(٤٨) سيد قطب إبراهيم حسين (١٩٦٦م)، **في ظلال القرآن**، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٢م، (ط١٧)، ج٢، ص١١٧٠.

(٤٩) الآيات من ٩٠-٩٣.

(٥٠) وحيد الدين خان، **التذكير القويم في تفسير القرآن الحكيم**، دار الوفاء، مصر، ٢٠٠٨م، (ط١)، ج٢، ص٤٤٤.

(٥١) محمد رشيد رضا (١٣٥٤هـ)، **تفسير القرآن الحكيم (المنار)**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ١٩٩٠م، ج١١، ص٤٨١.

(٥٢) **المرجع السابق**، ج١١، ص٤٨٦.

(٥٣) الشوكاني، **فتح القدير**، ج٣، ص٤٨٦.

(٥٤) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٦، ص٧٧.

(٥٥) البقاعي، **نظم الدرر**، ج١٤، ص٤٥٥.

(٥٦) سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج٢، ص١٠٣٦.

(٥٧) القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج١٢، ص١٨٤.

(٥٨) البيضاوي، **أنوار التنزيل**، ج١، ص٢٩٤. وينظر: الزمخشري، **الكشاف**، ج٢، ص٦. وصديق حسن خان، **فتح البيان في مقاصد القرآن**، قطر، إدارة إحياء التراث بدولة قطر، (ط١)، ج٤، ص١٠٦. وسليمان بن أحمد الطبراني (٣٦٠هـ)، **التفسير الكبير**، دار الكتاب الثقافي، ٢٠٠٨م، (ط١)، ج٣، ص١٠.

Jordan Journal of Islamic Studies, Vol. 15 [2019], Iss. 2, Art. 8

(٥٩) شيخ زادة، محمد بن مصلح الدين (٩٥١هـ)، **حاشية شيخ زادة على البيضاوي**، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٩م، (ط١)، ج٤، ص١٣.

(٦٠) سورة الإسراء، الآيات من ٩٠-٩٣.

(٦١) البقاعي، **نظم الدرر**، ج١١، ص٥٢٢-٥٢٥ بتصرف كبير. وينظر: محمد جواد مغنية (١٩٧٩م)، **التفسير الكاشف**، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٠م، (ط٣)، ج٥، ص٥١.

(٦٢) شيخ زادة، **حاشية شيخ زادة على البيضاوي**، ج٦، ص٤٥٨.

(٦٣) دروزة، **التفسير الحديث**، ج٢، ص٢٠٢.

(٦٤) المرجع السابق والصفحة.

(٦٥) محمد متولي الشعراوي (١٤١٨هـ)، **تفسير الشعراوي**، مطابع أخبار اليوم، مصر، ج١٢، ص٧٣٤١. بتصرف يسير.

(٦٦) القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ١٢-ص٦٥. وينظر: الشوكاني، **فتح القدير**، ج٣، ص٩٦.

(٦٧) الرسعني، **رموز الكنوز**، ج٣، ص٤٨١.

(٦٨) الزحيلي، وهبة بن مصطفى، **التفسير الوسيط**، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، ٢٠٠٦م، (ط٢)، ج٢، ص١١٧٤. وينظر: الطبراني، **التفسير الكبير**، ج٤، ص٢١. وينظر: في سبب النزول: علي بن أحمد الواحدي (٤٦٨هـ)، **الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، تحقيق: صفوان داوودي، دار القلم، دمشق، ١٩٩٥م، (ط١)، ج١، ص٥٧٥. وينظر: عبد الرحمن السعدي: **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٨م، (ط١)، ج٤، ص١١٦.

(٦٩) البقاعي، **نظم الدرر**، ج١٤، ص٤٥٦. وينظر: محمد جواد مغنية، **التفسير الكاشف**، ج٣، ص٤٤١.

(٧٠) الشربيني، **السراج المنير**، ج١، ص٦٢٨.

(٧١) أبو السعود، **إرشاد العقل السليم**، ج٤، ص١٢٨. وينظر: وحيد الدين خان، **التذكير القويم**، ج٢، ص١٤.

(٧٢) سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج٣، ص١٧٧١.

(٧٣) الآيات ٩٠-٩٣.

(٧٤) ابن عطية، عبد الحق بن غالب (٥٤٢هـ)، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠١م، (ط١)، ج٣، ص٤٨٦.

(٧٥) ابن عجيبة، أحمد بن محمد الحسني (١٢٢٤هـ)، **البحر المديد في تفسير القرآن المجيد**، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥م، (ط٢)، ج٢، ص٢٥٨-٢٥٩. بتصرف

(٧٦) السمعاني، منصور بن محمد (٤٨٩هـ)، **تفسير السمعاني**، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٠م، (ط١)، ج١، ص٤٩٦.

(٧٧) الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج٢٤، ص٥٩.

(٧٨) المرجع السابق والصفحة.

(٧٩) السعدي، **تيسير الكريم الرحمن**، ج٤، ص٣١٢.

(٨٠) حوى، سعيد بن محمد (١٤٠٩هـ)، **الأساس في التفسير**، دار السلام، القاهرة، ١٤٢٤هـ، (ط٦)، ج٥، ص٢٧٦٠.

(٨١) الشوكاني، **فتح القدير**، ج٣، ص١٠٤. وينظر: سعيد حوى، **الأساس في التفسير**، ج٥، ص٢٧٦٠.

(٨٢) سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج٣، ص١٧٧٢.

(٨٣) الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج٢١، ص٤٧.

(٨٤) ينظر: الشعراوي، **تفسير الشعراوي**، ج٨، ص٤٥٣٩.

(٨٥) سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج٢، ص١٠٧٩.

https://digitalcommons.aaru.edu.jo/jois/vol15/iss2/8

(٨٦) البيضاوي، **أنوار التنزيل**، ج٢، ص١٥٠.

(٨٧) القونوي، عصام الدين الحنفي (٦٧٢هـ)، **حاشية القونوي على تفسير الإمام البيضاوي**، الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠١م، (ط١)، ج١٤، ص١٧٩.

(٨٨) الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج١٢، ص١٣٤.

(٨٩) طنطاوي جوهري (١٩٤٠م)، **الجواهر في تفسير القرآن الكريم**، مصر، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٥٠هـ، (ط٢)، ج١٣، ص٦.

(٩٠) نوفل، **الحرب النفسية من منظور إسلامي**، ص٣٠.

(٩١) أبو حيان محمد بن يوسف (٧٤٥هـ)، **البحر المحيط**، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٧م، (ط٢)، ج٧، ص١٥٢. وينظر: البقاعي، **نظم الدرر**، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ١٩٩٢م، (ط٢)، ج١٤، ص٤٥٨.

(٩٢) ينظر: سبب النزول عند الواحدي، **الوجيز**، ج١، ص٥٧٣. وينظر: علي بن أحمد الواحدي، **أسباب النزول**، تحقيق: عصام ابن عبد المحسن الحميدان، دار الإصلاح، الدمام، ١٩٩٢م، (ط٢)، ص٢٨٠.

(٩٣) الزمخشري، **الكشاف**، ج٢، ص ٣٧٥.

(٩٤) الآلوسي، **روح المعاني**، ج٧، ص١٤٧.

(٩٥) رضا، محمد رشيد، **تفسير المنار**، ج٩، ص٥٥١.

(٩٦) الثعالبي، عبد الرحمن بن محمد (٨٧٥هـ)، **الجواهر الحسان في تفسير القرآن**، بيروت، المكتبة العصرية، (ط١)، ج٢، ص٢٤٦.

(٩٧) الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج٢٨، ص١٧٩.

(٩٨) سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج٥، ص٣١٨٦. وينظر: فضل الله، **من وحي القرآن**، ج١٧، ص٣٢.

(٩٩) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج٢، ص٢٥٢.

(١٠٠) الخطيب، عبد الكريم يونس (١٣٩٠هـ)، **التفسير القرآني للقرآن**، دار الفكر العربي، القاهرة، ج٩، ص١٣٦٢-١٣٦٣ بتصرف. وينظر: علي بن محمد الماوردي (٤٥٠هـ)، **النكت والعيون**، دار الكتب العلمية، بيروت، ج٤، ص١٣٤.

(١٠١) القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج١٢، ص٦٤.

(١٠٢) الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج٢٤، ص٦٠.

(١٠٣) الطبري، **جامع البيان**، ج٧، ص١٨٧.

(١٠٤) القمي، الحسن بن محمد النيسابوري (٨٥٠هـ)، **غرائب القرآن ورغائب الفرقان**، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠١م، (ط١)، ج٤، ص٣٦٠-٣٦١.

(١٠٥) الماتريدي، **تأويلات أهل السنة**، ج٣، ص١٧٠.

(١٠٦) ابن حنبل، أحمد بن محمد (٢٤١هـ)، **المسند**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، ٢٠٠٨م، (ط١)، مسند عبد الله بن العباس، رقم الحديث (٢١٦٦)، ج٤، ص٦٠. قال تحقيق: إسناده قوي على شرط مسلم. وينظر: الروايات ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج٣، ص٧٠.

(١٠٧) النسفي، عبد الله بن أحمد (٧١٠هـ)، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٨م، (ط١)، ج١، ص٣٥٥.

(١٠٨) الزمخشري، **الكشاف**، ج٢، ص٧. والبيضاوي، **أنوار التنزيل**، ج١، ص٢٩٤. وينظر: أحمد بن محمد الخفاجي (١٠٦٩هـ)، **حاشية عناية القاضي وكفاية الراضي**، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م، (ط١)، ج٤، ص٣٤-٣٥.

(١٠٩) ينظر: المرجع السابق والصفحة.

(١١٠) فضل الله، **من وحي القرآن**، ص١٧-٣٤.

Jordan Journal of Islamic Studies, Vol. 15 [2019], Iss. 2, Art. 8

(١١١) ابن عادل، عمر بن علي الحنبلي (٧٧٥هـ)، **اللباب في علوم الكتاب**، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م، (ط١)، ج٨، ص٣٩-٤٠. بتصرف

(١١٢) ينظر: سورة الذاريات ٢٤-٢٨.

(١١٣) ينظر: سورة الحجر الآيات ٦٧-٧٠. وينظر: سعيد المغناوي، **شخصية الرسول بين تصوير الوحي وتصورات الدارسين**، دار ابن حزم، لبنان، ٢٠٠٦م، (ط١)، ص٣٤٢.

(١١٤) الطبري، **جامع البيان**، ج١٩، ص١٦.

(١١٥) مكي، ابن أبي طالب الأندلسي (٤٣٧هـ)، **الهداية إلى بلوغ النهاية**، جامعة الشارقة، ٢٠٠٨م، (ط١)، ج٨، ص٥٢٧٦.

(١١٦) حبنكة الميداني، عبد الرحمن حسن (٢٠٠٤م)، **معارج التفكر ودقائق التدبر**، دار القلم، دمشق، ٢٠٠١م، (ط١)، ج٨، ص٥٦١-٥٦٢.

(١١٧) سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج٤، ص١٨٦٠.

(١١٨) نوفل، **الحرب النفسية من منظور إسلامي**، ص٣١.

(١١٩) الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج١٢، ص١٧٢.

(١٢٠) **المرجع السابق**، ج٢٥، ص١٢١.

(١٢١) البقاعي، **نظم الدرر**، ج١٥، ص١٣٤. وينظر: ابن كثير، **التفسير**، ج٣، ص٦٤١. وينظر: الطبرسي، الفضل بن الحسن (١١٥٤هـ)، **مجمع البيان في تفسير القرآن**، دار المعرفة، بيروت، ١٩٨٦م، (ط١)، ج٨، ص٤٨٧. والقاسمي، **محاسن التأويل**، ج٥، ص٤٧١.

(١٢٢) الخازن، علي بن محمد (٧٤١هـ)، **لباب التأويل في معاني التنزيل**، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٥م، (ط١)، ج٢، ص٤٢٨.

(١٢٣) سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج٢، ص١١٧٠. بتصرف.

(١٢٤) الواحدي، **الوجيز**، ج١، ص٥٧٣.

(١٢٥) الشعراوي، **تفسير الشعراوي**، ج١٢، ص٧٣٤١. بتصرف يسير.

https://digitalcommons.aaru.edu.jo/jois/vol15/iss2/8